

القادسية

رسوم
إبراهيم سمرة

بقلم
عبد الحميد عبد المقصود

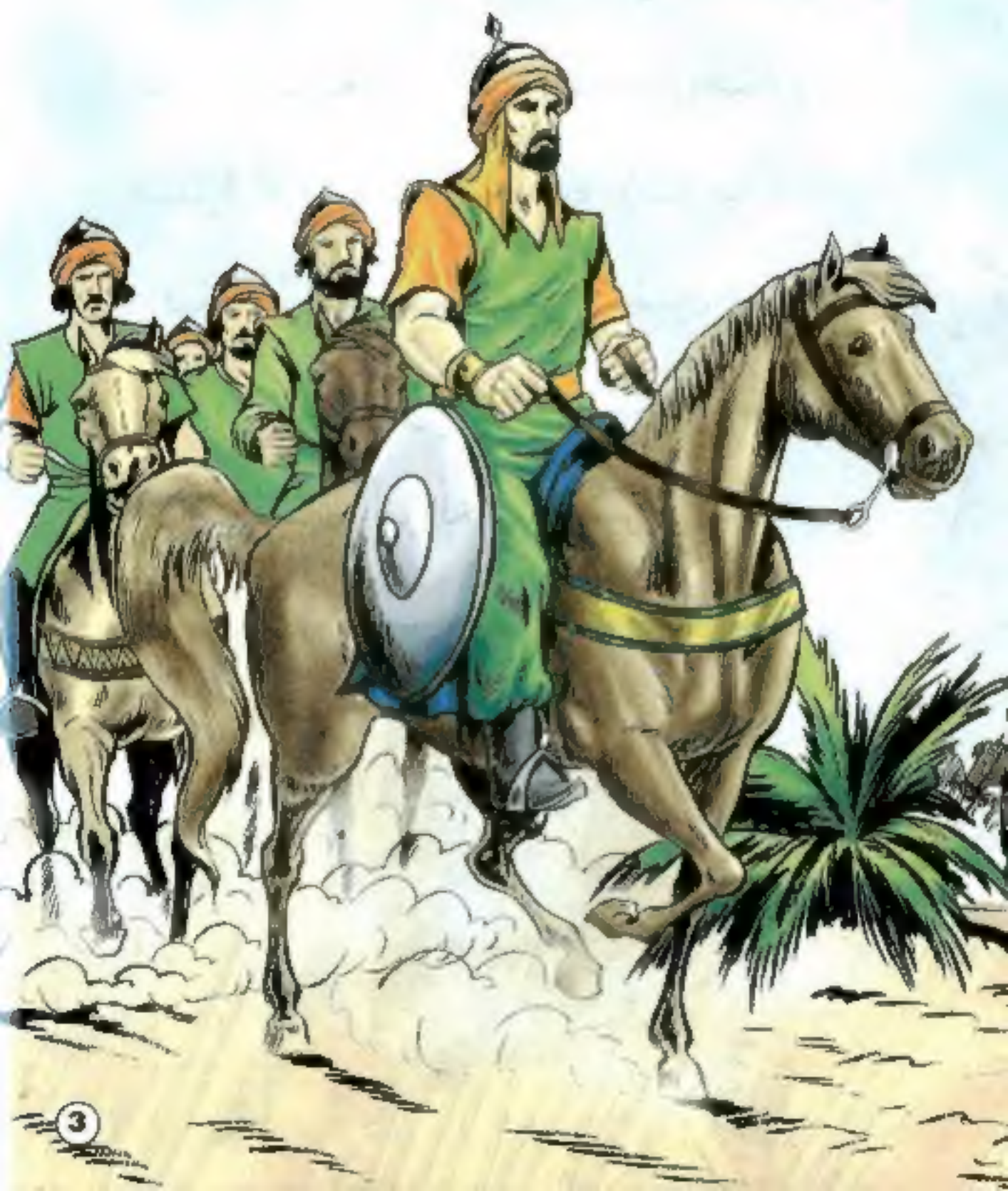


الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

تطبع وتشتري والتوزيع
من: مطبعة دار - القاهرة
فلسطين - 1974

فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) ثَالِثِ
الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، اَزْدَهَرَتِ الْفُتُوحَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ ،
وَأَصْبَحَ لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ دَوْلَةٌ قَوِيَّةٌ دَانَتْ لَهَا كُلُّ
الْقُوَى فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، لِتَتَّحِدَ شُعُوبُهَا تَحْتَ
رَايَةِ الْإِسْلَامِ ، فَتَنْعَمَ بِعَظَمَتِهِ وَتَرْفُلَ فِي نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي
تَفْضُلُ بِهَا عَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَاهْتَدَى إِلَى نُورِ الْحَقِّ .





لَقَدْ كَانَتِ السَّنَةُ الْخَامِسَةُ عَشَرَ مِنَ الْهَجْرَةِ هِيَ
عَامُ الْقَادِسِيَّةِ ... أَكْبَرُ وَاقِعَةٍ تَارِيخِيَّةٍ وَأَكْثَرُ
الْمَعَارِكِ أَثَرًا فِي مَسَارِ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَامَّةً .
فَبَعْدَ أَنْ انتَصَرَتْ جِيُوشُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى جَيْشِ
الرُّومِ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِعِ بِالشَّامِ وَأَصْبَحَ الْقَضَاءُ عَلَيْهِمْ
أَمْرًا مَحْتُومًا ، أَمَرَ الْخَلِيفَةُ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) أَنْ



تَتَجِهَ جِيوشُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْعِرَاقِ لِتُخَلِّصَهَا مِنْ
سُلْطَانِ الْفَرَسِ ، وَتَقْضَى عَلَى كُلِّ أَثَرٍ لَهُمْ هُنَاكَ .
وَعَلَى رَأْسِ جَيْشٍ بَلَغَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا أَوْ أَكْثَرَ سَارَ (سَعْدُ
ابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ) وَ (هَاشِمُ بْنُ عُثْبَةَ) وَ (الْقَعْقَاعُ بْنُ عُمَرَ) .
وَعِنْدَ مَشَارِفِ الْعِرَاقِ وَصَلَتْ وَصَايَا الْخُلَيْفَةِ (عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ) إِلَى (سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ) بِأَنْ يَذْهَبَ عَلَى
الْفُورِ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ ، فَهِيَ الْبَابُ الرَّئِيسِيُّ لِبِلَادِ فَارَسَ ،

وَأَنْ يَضَعَ قَوَاتَهُ بَيْنَ آخِرِ الْحُدُودِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَوَّلِ
الْحُدُودِ الْفَارْسِيَّةِ .

وللمزيد من التشجيع والحث على الجهاد أضاف
(عمر) في وصاياه إلى (سعد) أن لا يخاف الأعداء
الهائلة لأعدائه ، ولا العدة التي يمتلكونها ، فالإرادة
الصّادقة والإيمان العميق هما العنصران الرئيسيان





اللَّذَانِ يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى بِهِمَا كُلُّ قَائِدٍ أَوْ زَعِيمٍ يَتَوَلَّى
قِيَادَةَ مَعْرَكَةٍ حَرْبِيَّةٍ ، أَوْ غَزْوَةٍ كَبِيرَى ، وَبِدُونِهِمَا
لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ النُّجَاحُ أَوْ الْإِنْتِصَارُ .

وَانْطَلَقَتِ الْجِيُوشُ الْعَرَبِيَّةُ صَوْبَ الْقَادِسِيَّةِ يَحْدُوهَا
الْأَمَلُ ، وَيَعْلُو وَجُوهُ قَادَتِهَا الْإِيمَانُ وَالصِّدْقُ فِي
سَبِيلِ رِسَالَةٍ مُقَدَّسَةٍ هِيَ رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ .



وَعِنْدَ (العُذَيْبِ) إِحْدَى النُّقَاطِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ
أَعَدَّتْهَا الْجِيُوشُ الْعَرَبِيَّةُ لَتَكُونَ نُقْطَةً حِرَاسَةً لَهَا
عَلَى الْحُدُودِ الْفَارِسِيَّةِ ، تَمَرَّكَزَتْ تِلْكَ الْجِيُوشُ
لِتَسْتَرِيحَ بَعْضُ الْوَقْتِ مِنْ عَنَاءِ الطَّرِيقِ الشَّاقِّ
الطَوِيلِ الَّذِي سَلَكَتُهُ فِي رِحْلَتِهَا ، وَلِيَتَّفِقَ الْجَمِيعُ
عَلَى تَفَاصِيلِ الْخُطَّةِ الْحَرْبِيَّةِ الْمُزْمَعِ تَنْفِيزِهَا .
وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ لَاحِظَ (سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ) أَنَّ

بِالْمِنْطَقَةِ أَبْرَاجًا لِلْمُرَاقَبَةِ ، وَبَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ تَظْهَرُ
بَعْضُ الرُّءُوسِ دَاخِلَهَا ثُمَّ تَخْتَفِي ، وَهُنَا قَرَّرَ (سَعْدٌ) أَنَّ
يَقْتَحِمُ تِلْكَ الْأَبْرَاجَ ، فَدَخَلَتْ قَوَاتُ الْمُسْلِمِينَ
لِتَكْتَشِفَ أَنَّ مَنْ فَعَلَ كُلَّ هَذَا مَا هُوَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ
أَرَادَ أَنْ يَتَجَسَّسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ
إِلَى الدَّاخِلِ لِيُخْبِرَ الْفَرَسَ بِمَا شَاهَدَهُ .

فَاسْتَوْلَتْ الْجِيُوشُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى تِلْكَ الْأَبْرَاجِ ،

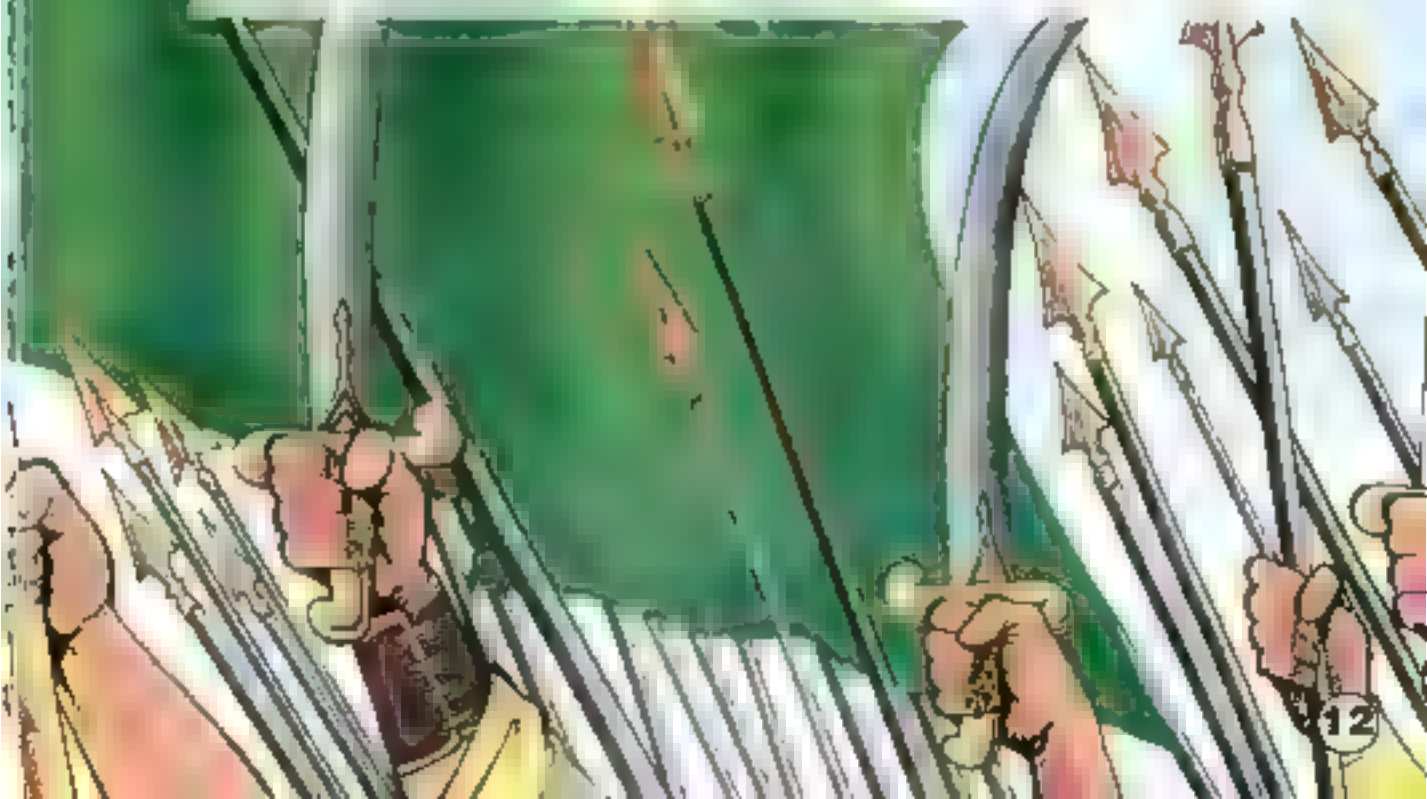




وَاسْتَفَادَتْ مِمَّا بِهَا مِنْ رِمَاحٍ وَسِهَامٍ وَأَلَاتٍ حَرْبِيَّةٍ
كَثِيرَةٍ كَانَ الْفُرْسُ يَحْتَفِظُونَ بِهَا ثُمَّ تَرَكُوهَا .

وَفِي بِلَادِ فَارَسَ :

كَانَ الْمَلِكُ (يُرْدَجَرْدُ) مَلِكُ الْفُرْسِ يُتَابِعُ بِقَلْقٍ
شَدِيدٍ تَحَرُّكَاتِ جِيوشِ الْمُسْلِمِينَ نَحْوَ الْقَادِسيَّةِ .
فَأَمَرَ بِإِعْدَادِ جَيْشٍ كَبِيرٍ تَحْتَ قِيَادَةِ الْقَائِدِ
(رُسْتَمَ بْنِ الْفَرَخَزَادِ) لِيُوَاجِهَ تِلْكَ الْفُلُولَ الزَّاحِفَةَ



بِلاَ هَوَادَّةٍ نَحْوِ الْمَمْلَكَةِ الْفَارِسِيَّةِ .

وَعِنْدَ ذَلِكَ أُعِدَّ وَقْدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُ كُلُّ

مِنْ (النَّعْمَانِ بْنِ مَقْرِنٍ) وَ (فَرَانَ بْنِ حَيَّانٍ)

وَأُخَرُونَ ، وَذَهَبَ هَذَا الْوَقْدُ لِمُقَابِلَةِ (يَزْدَجَرْدِ)

فَلَمَّا مَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ دَعَا لِلدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ ،

أَوْ دَفَعَ الْجَرِيَةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَى مَنْ لَا يُسْلِمُ .

فَهَبَّ (يَزْدَجَرْدُ) وَاقِفًا وَقَالَ :



– ليس لكم عندى شيء ، اخرجوا وإلا أمرتُ

بقتلكم .

فردَّ الثُعمانُ غاصًّا : إذنُ إنها الحربُ ...

تمركزتُ قواتُ المُسلمين عندَ القادسيَّة ، بينما

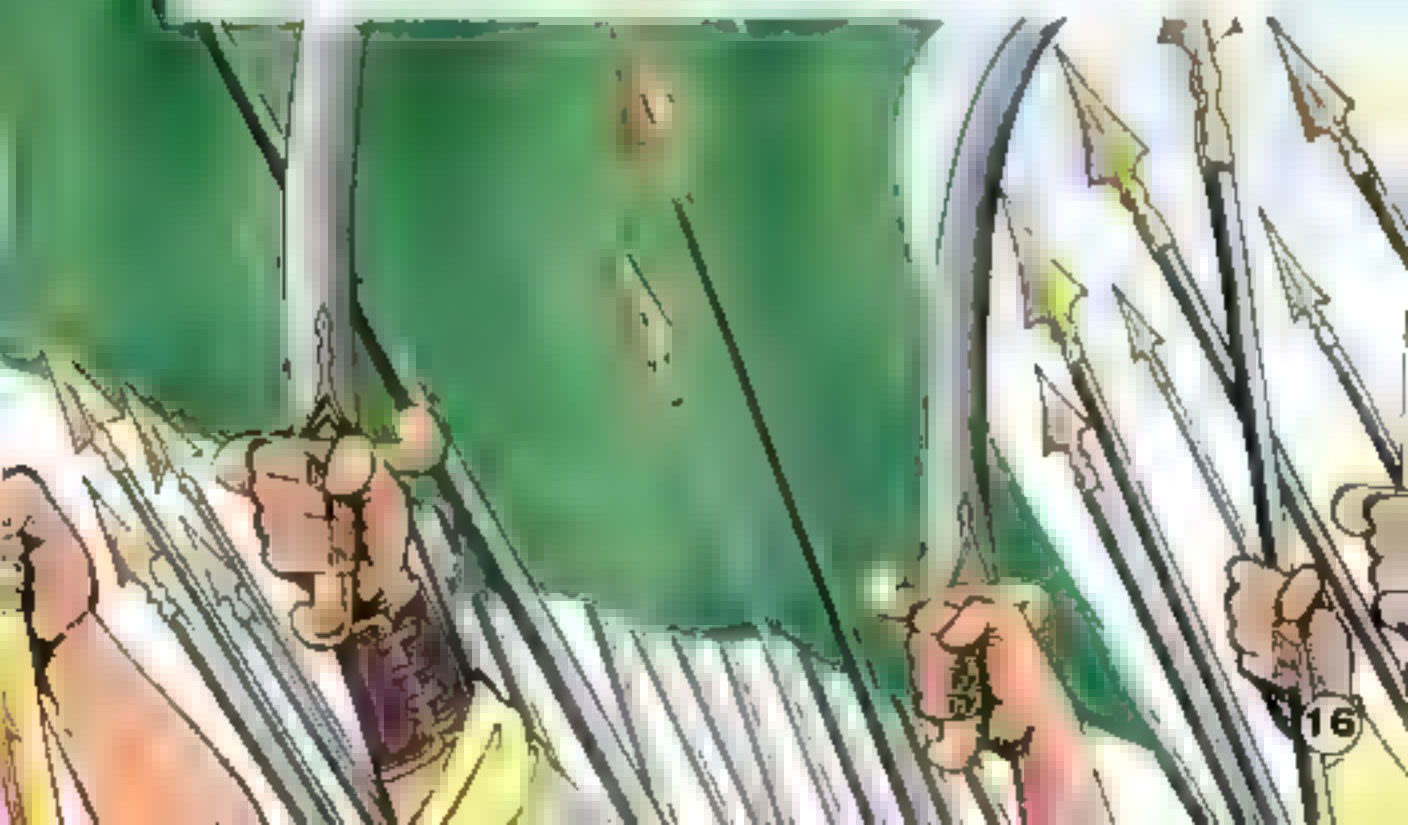
اتَّجهَ إليها (رُستُم) على رأس جيش

بلغ مائة وعشرين ألف مُقاتل





عَلَاوَةً عَلَى ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ فَيْلًا مِنْ أَقْوَى الْفَيْلَةِ
الَّتِي اسْتَخْدَمَهَا الْفُرسُ فِي مَعَارِكِهِمْ ، وَتَقَدَّمَتْ
الْفَيْلَةُ الْجَيْشَ حَتَّى الطَّرْفِ الْآخِرِ مِنَ النَّهْرِ فِي
مُوجَهَةِ الْقَادِسِيَّةِ ، ثُمَّ أُرْسِلَ (رُسْتَم) إِلَى (سَعْدِ
ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ) يَطْلُبُ مِنْهُ عُبُورَ الشَّهْرِ أَوْ يَغْبِرُ هُوَ
إِلَيْهِ ، فَاخْتَارَ (سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ) الثَّانِيَةَ ،
وَانْتَظَرَ قُدُومَ عَدُوِّهِ إِلَيْهِ .



وَعِنْدَمَا جَاءَ اللَّيْلُ وَأَقْبَلَ الظَّلَامُ الدَّاكِنُ أَمَرَ
(رُسْتَم) رِجَالَهُ لِيُقِيمُوا جِسْرًا عَلَى النَّهْرِ يَصْنَعُونَهُ
مِنَ الثَّرَابِ وَالْأَحْجَارِ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى كُلِّ مَايُمْكِنُ
أَنْ يُقَابِلَهُمْ مِنْ مَوَادِّ طَبِيعِيَّةٍ ، عِلَاوَةً عَلَى مَايَسْتَعْنُونَ
عَنَّهُ مِنْ مَلَابِسٍ وَأَعْطِيَةٍ .

وَمَعَ مَطْلَعِ الْفَجْرِ عَبَرَتْ قَوَاتُ الْفُرْسِ النَّهْرَ ..
الْفِيلَةُ فِي الْوَسْطِ مُسْتَقْدِمَةٌ وَمَنْ خَلْفَهَا الْجُنُودُ

بأسلحتهم المتعددة الأشكال والأنواع ، وعلى
الجانين حيل كثيرة تحمل على جانبيها صناديق
العتاد .

وأعلن (سعد) صيحة الحرب الأولى «الله أكبر»
والثانية «الله أكبر» والثالثة والرابعة ،

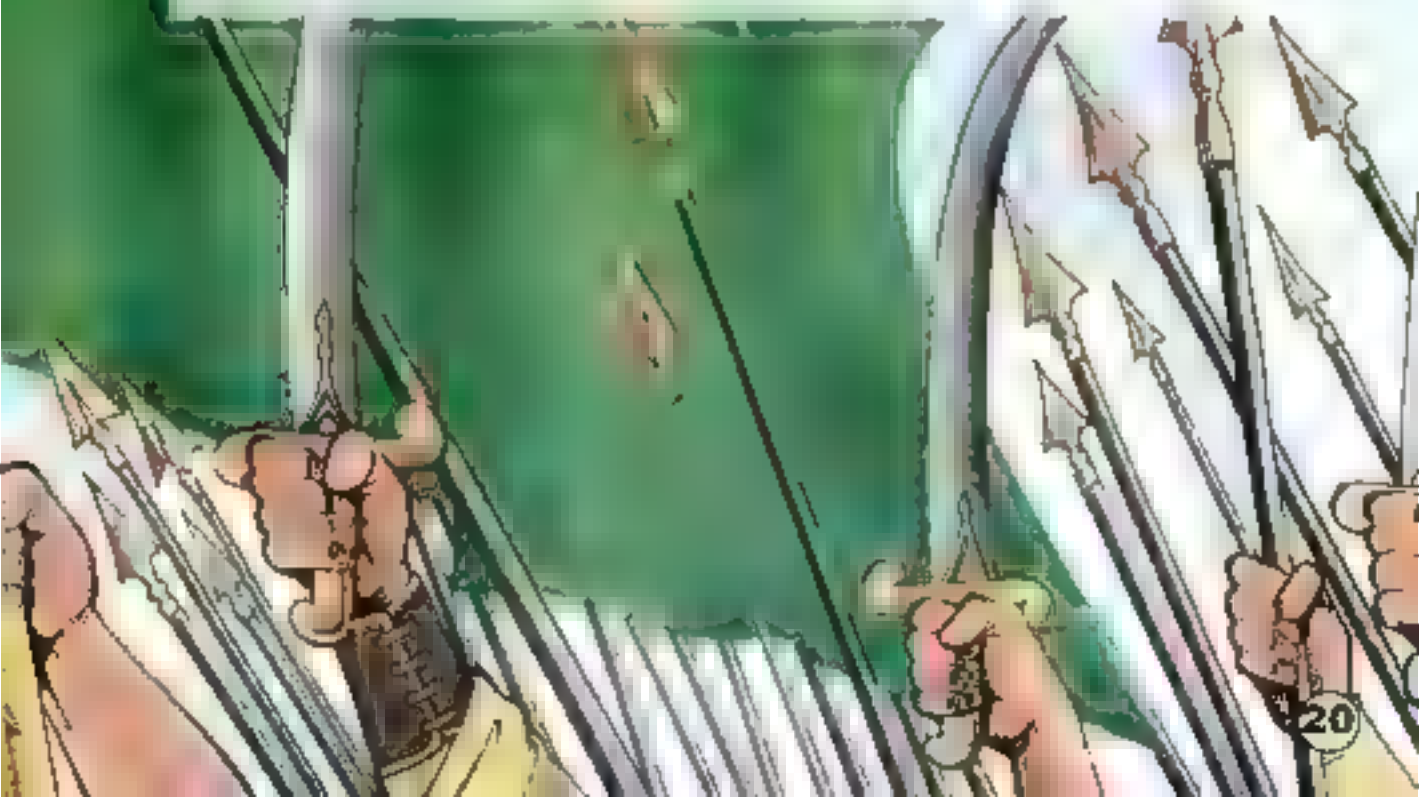




فَإِذَا بِالْمُسْلِمِينَ يَخُوضُونَ غَمَارَ الْحَرْبِ وَيُقَاتِلُونَ
بِإِسْأَلَةِ مُنْقَطِعَةِ النَّظِيرِ ، بَلْ وَيَأْسِرُونَ وَاحِدًا مِنْ
كِبَارِ قَادَةِ الْفُرْسِ هُوَ (الْهَرْمُزُ) .

إِلَّا أَنَّ الْفِيلَةَ هَاجَمَتِ الْفُرْسَانَ الْعَرَبَ وَخَبِئَتْ لَهُمْ
فَنَشَرَتِ الذُّعْرَ بَيْنَهُمْ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ .

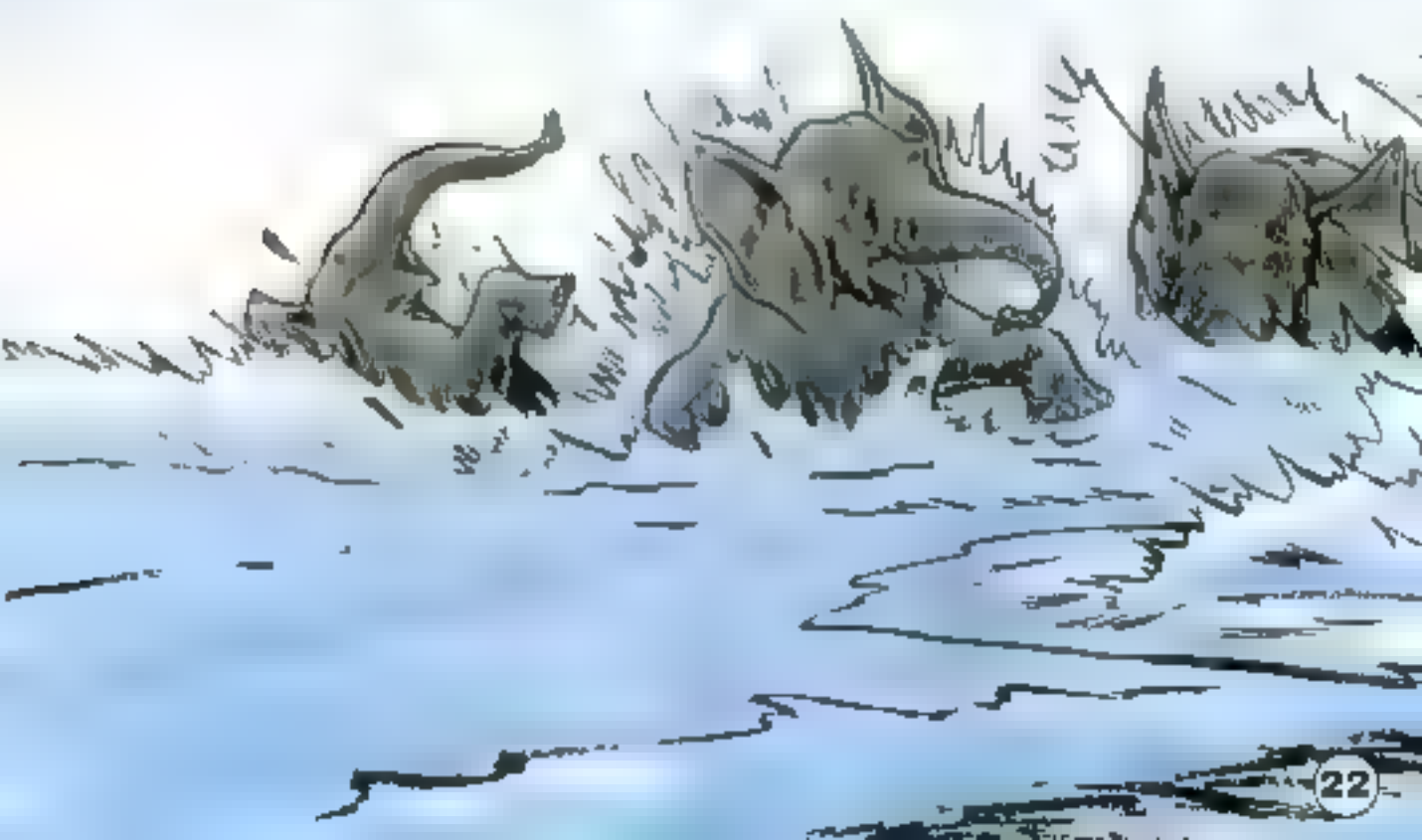
وَبَدَأَ (سَعْدٌ) يَذْرُسُ نِقَاطَ الضَّعْفِ فِي الْفِيلَةِ ،
فَعَرَفَ أَنَّ أَكْبَرَ نُقْطَةٍ ضَعْفٍ فِي الْفِيلِ هِيَ عَيْنُهَا

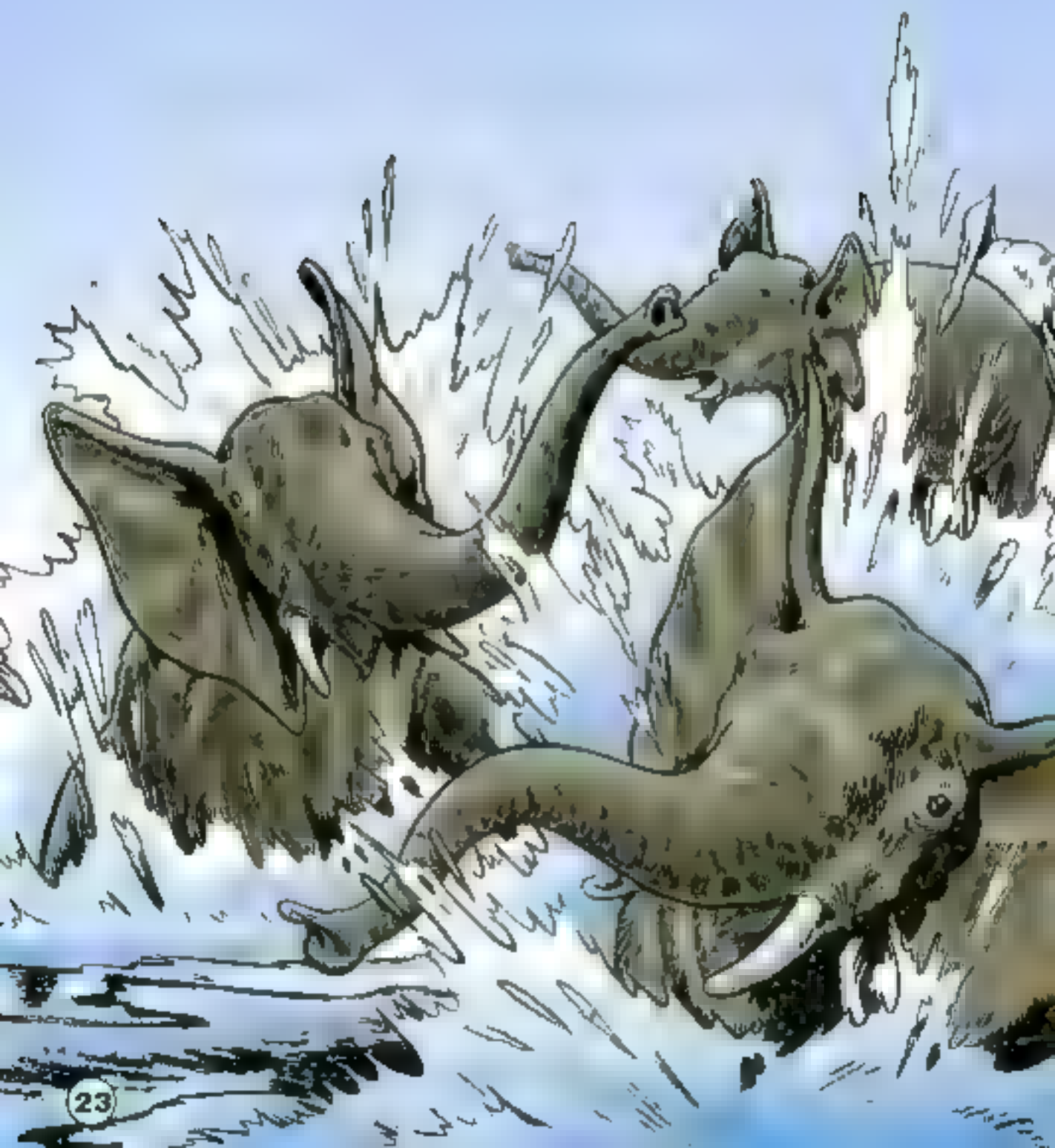


لو أَصَابَهَا أَذَى فَإِنَّهُ يَفْقِدُ صَوَابَهُ أَوْ يَهْرَبُ . كَذَلِكَ
خَرَطُومُهُ ، إِذَا أَصَابَهُ شَيْءٌ تَحْدُثُ نَفْسُ النَّتِيجَةِ .
فَرَكَّزَ الْقَوَادُّ عَلَى ضَرْبِ نِقَاطِ الضَّعْفِ فِي
الْفِيلَةِ ، كَمَا ضَاعَفُوا تَرْكِيزَهُمْ عَلَى فِيلٍ أبيضٍ
صَنَحِمٍ جِدًّا كَانَ يَقُودُ الْفِيلَةَ جَمِيعًا .
ثُمَّ رَكِبَ (الْقَعْقَاعُ) فَرَسَهُ وَامْتَشَقَ رُمْحَهُ ، وَاتَّجَهَ
مُسْرِعًا نَاحِيَةَ الْفِيلِ الْأَبْيَضِ .

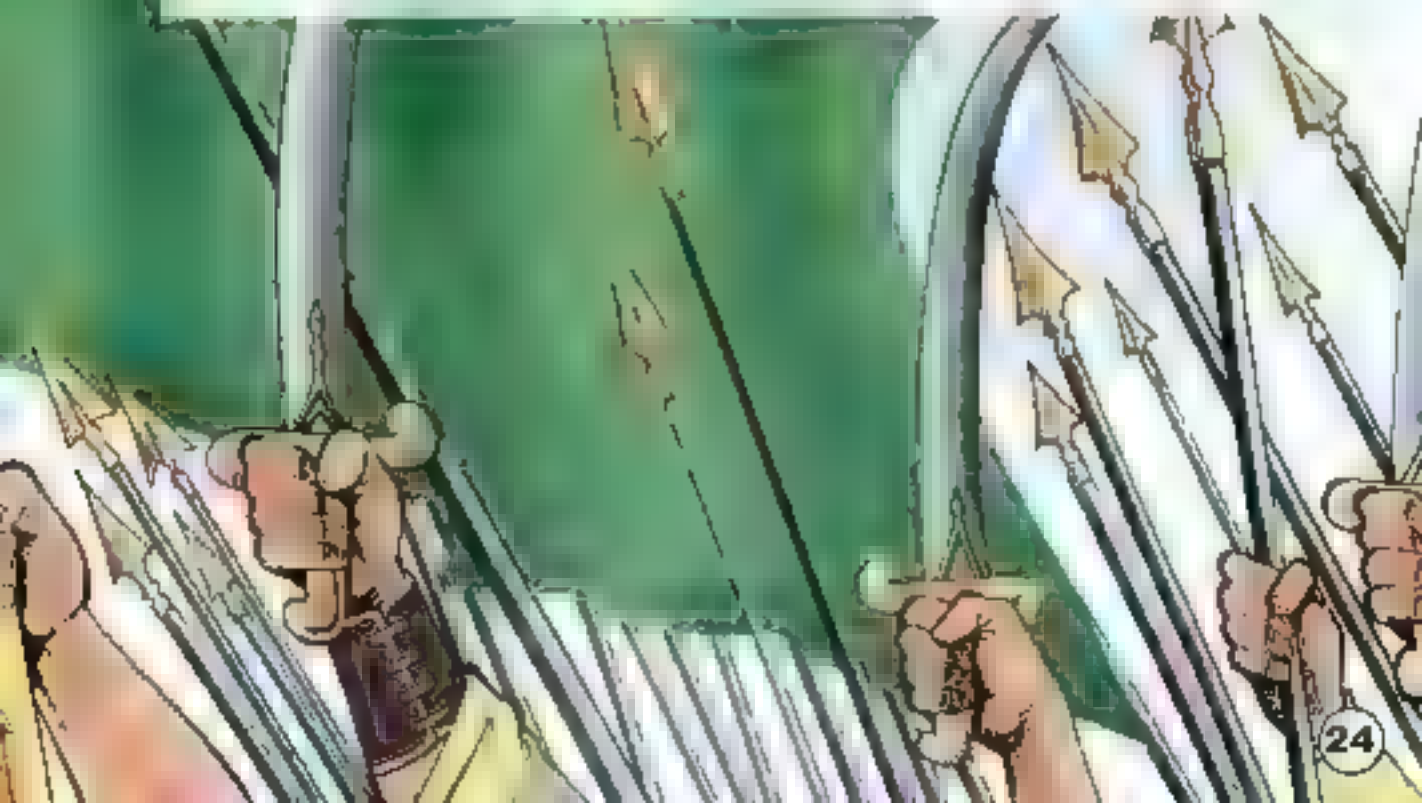
فَصَوَّبَ الرُّمَحَ نَاحِيَةَ عَيْنِ الْفِيلِ الْيُمْنَى ، بَيْنَمَا
فَارِسٌ غَرِيبٌ آخَرُهُوَ (عَاصِمٌ مِنْ عَمْرُو) كَانَ يُصَوِّبُ
رُمَحَهُ نَاحِيَةَ الْعَيْنِ الْيُسْرَى .

وَفِي حَرَكَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ انْطَلَقَ الرُّمَحَانِ نَحْوَ
عَيْنَيِ الْفِيلِ الْأَبْيَضِ فَأَصَابَتْهُمَا إِصَابَةٌ شَدِيدَةٌ
وَمُبَاشِرَةٌ ، مِمَّا جَعَلَهُ يَتَرَاوَعُ مُسْرِعًا وَيَطْرَحُ رَاكِبَهُ





أَرْضًا ، ثُمَّ يَصُولُ وَيَجُولُ وَسَطَ عَسْكَرِ الْفُرْسِ عَلَى غَيْرِ
هُدًى ، فَيَدُوسُ بِقَدَمَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ يُقَابِلُهُ بِلاَ أَى تَمْيِيزٍ أَوْ
تَحْدِيدٍ لِهَدَفٍ ، كُلُّ هَذَا وَهُوَ يَصِيحُ مِنَ الْآلَمِ .
وَأَخِيرًا قَفَزَ إِلَى النَّهْرِ عَلَّهُ يَسْتَطِيعُ الْهَرُوبَ مِنَ
الْمَعْرَكَةِ أَوْ يُضَمِّدَ جِرَاحَهُ بِمَا أَصَابَهُ ، فَمَا كَانَ مِنْ بَاقِي
الْفِيلَةِ إِلَّا أَنْ قَفَزَتْ كُلُّهَا خَلْفَهُ .



وَبَعْدَ رَحِيلِ الْفِيلَةِ ، وَالَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الْفُرسِ
بِمِثَابَةِ سِلَاحِ الْمُدْرَعَاتِ فِي الْجُيُوشِ الْحَدِيثَةِ ،
حَدَّثَ تَصَدُّعٌ كَبِيرٌ فِي صُفُوفِ الْحَيْشِ الْفَارِسِيِّ
وَأَدْرَكَ جُنْدُ الْفُرسِ أَنَّهُمْ مَهْزُومُونَ لَا مَحَالَةَ أَمَامَ قُوَّةِ
وَصَلَابَةِ الْجُنْدِيِّ الْمُسْلِمِ الَّذِي يُحَارِبُ مِنْ أَجْلِ
قَضِيَّةٍ وَرِسَالَةٍ مُقَدَّسَةٍ يَهَبُ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِهَا وَيَنَالُ
شَرَفَ الْإِسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِهَا رَاضِيًا مُطْمَئِنًّا .

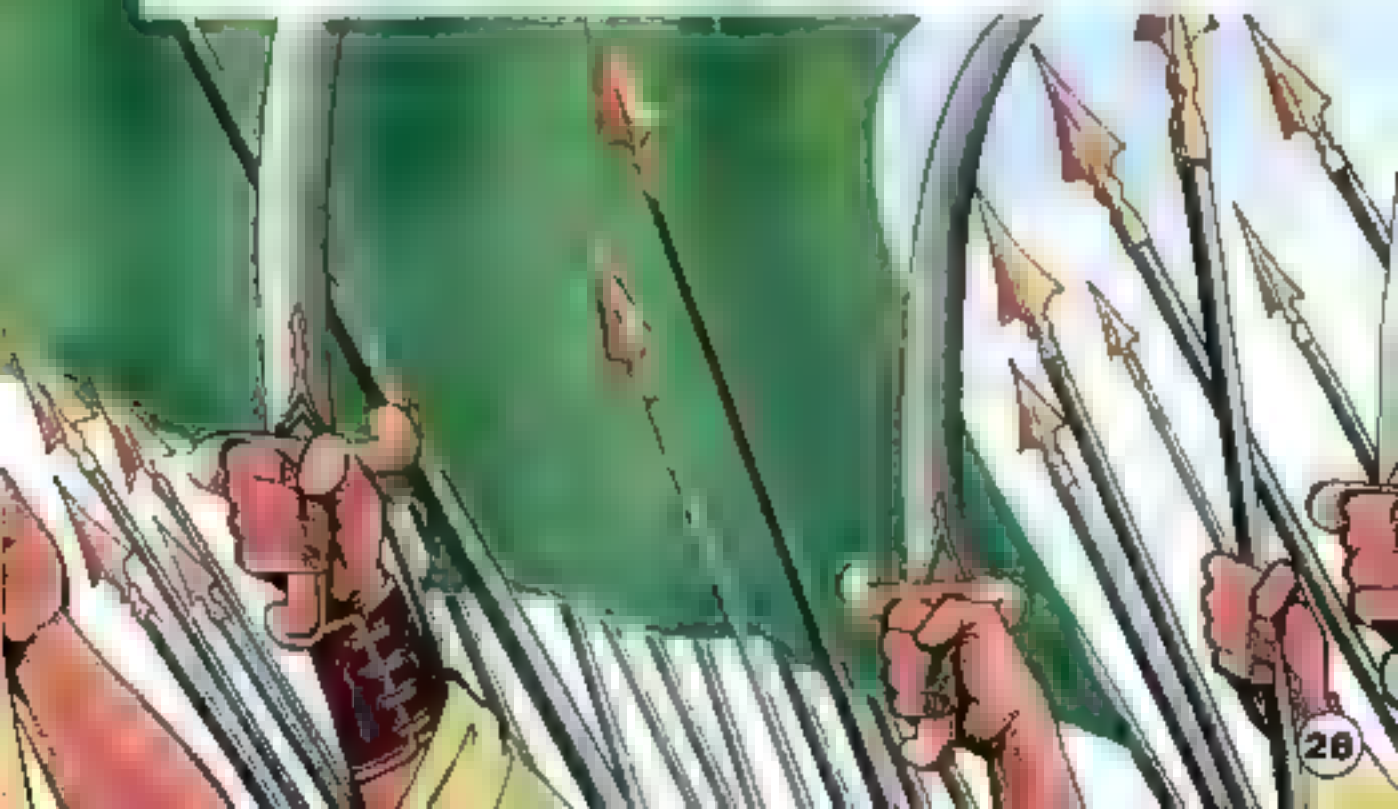
واشتدَّ القتالُ المتلاحمُ ليصلَ إلى ذروتِه ، وترجَّحَ
كفُّهُ المُسلمينَ رويدًا رويدًا ، وتتهاوى المئاتُ من
جُنْدِ الفُرسِ تحتَ سَنابِكِ خيولِ المُسلمينَ ، بينما
يُسْتَسْلِمُ المئاتُ أيضًا ، كما يَهْرَبُ آخرونَ .

ومن أشهرِ الهاربينَ كانَ (رستمُ) القائدُ الفارسيُّ
الكبيرُ الَّذي كلَّمَهُ (يزدجردُ) بـ
بقيادةِ الجُيُوشِ .





لَقَدْ فَرَّ هَذَا الْقَائِدُ عِنْدَمَا اِكْتَشَفَ ضَعْفَ مَوْقِفِهِ
وَمَوْقِفِ جُنُودِهِ ، وَعِنْدَمَا تَأَكَّدَ مِنْ هَزِيمَتِهِ خَافَ
أَنْ يَقَعَ فِي الْأَسْرِ ، فَأَخَذَ يَجْرِي بِكُلِّ قُوَّتِهِ إِلَى أَنْ
وَصَلَ النَّهْرَ فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِيهِ ، لَكِنَّ الْفَارِسَ
الْعَرَبِيَّ (هَلَالَ بْنَ عَلْقَمَةَ) كَانَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ حَيْثُ
لَحِقَ بِهِ وَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ وَقَتَلَهُ ، وَخَرَجَ صَائِعًا :
لَقَدْ قَتَلْتُ (رُسْتُم) .. لَقَدْ قَتَلْتُ (رُسْتُم) .



وَبَعْدَ مَقْتَلِ قَائِدِهِمْ اِنْهَارَ جُنْدُ الْفُرْسِ ، وَقَرَّرُوا
الْعُودَةَ إِلَى عُبُورِ النَّهْرِ مِنْ حَيْثُ أَتَوْا مَرَّةً ثَانِيَةً .
إِلَّا أَنَّ النَّهْرَ كَانَ ضِدَّهُمْ هُوَ الْآخِرُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فَانْهَارَ
الْجِسْرُ الثَّرَابِيُّ الَّذِي كَانُوا قَدْ أَقَامُوهُ وَغَرِقَ حِوَالِي
ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنْ جُنْدِ الْفُرْسِ .
وَبِهَذِهِ النِّهَايَةِ حَقَّقَ الْمُسْلِمُونَ نَصْرًا كَبِيرًا ،
وَتَعَقَّبُوا الْفُرْسَ حَتَّى دِيَارِهِمْ ، فَأَسْرَوْا مِنْهُمْ الْأَلْفَ ،

كَمَا أَخْضَعُوا إِيوَانَ كِسْرَى لِرَايَةِ الْإِسْلَامِ .
وَقَدْ كَانَ هَذَا الْفَتْحُ مِنْ أَكْبَرِ الْفَتْوحَاتِ
الْإِسْلَامِيَّةِ ، ثَبَّتَ بَعْدَهُ الدَّعْوَةَ ، وَأَخَذَتْ مَكَانَهَا
فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَزَوَّالُ
مُلْكِ كِسْرَى وَانْهْيَاؤُ دَوْلَتِهِ





لَمْ يَكُنْ بِالشَّيْءِ السَّهْلِ الَّذِي يَتَصَوَّرُهُ الْعَالَمُ أَوْ
يَتَوَقَّعُ حَدُوثَهُ ، وَبُنَاءٌ عَلَيْهِ كَانَ انتصارُ الإسلامِ في
القَادِسِيَّةِ انتصارًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

(تحت)

رسم الأندلس ٢٥٢٧

التاريخ الدولي ٧١ - ٢٥٩ - ٢٦٢ - ٩٥٧